# الخاتمـــة

في خاتمة هـذا الكتاب نستطيع أن نؤكد على مجموعة من الأمور التي نرى أنها تشكل عمـق ما يحمله من أفكار ، وجـلّ ما يتضمنه من نتائج ، وهي على النحـو التـالي :

1 ـ إن العقاد كإنسان تميَّز بعدة خصال ، ميَّزت شخصيته على المستوى الإنساني ، كان أهمها :

(الثبات / الإصـرار / الصلابة / حب العزلة والانطواء / الإفراط في التواضع والرحمة واللين / القدرة على تحمل الألم ومحاربـة المرض / الحياء / الشجاعة / كراهية الرياء والنفاق / حب الصدق والوفاء / عدم التوسط في الصداقة / التسامح وعدم البدء بالعداوة / التمرد على القديم البالي / غلبة الحزن عليه) .

وكل تلك الخصال توضع في إطار من الاعتداد بالنفس ، ومحبة الذات ؛ ثقةً ، قد يحسبها من لا يعرفه غروراً .

2 ـ إن العقـاد له فـي عالم الشعر عشرة دواوين شعرية ، وقد تميَّز فيها بظواهر عدة ، أهمها ظاهرتان ، غلبتا على نتاجه الشعري عامة :

**الأولى** : تخص المضمون ، وهي ظاهرة الحزن والأسى والشجى واللوعة ، وما ترتب عليها من تداعيات ، تمثلت في العديد من الظواهر الفرعية .

**الثانية** : تخص الأسلوب ، وهي لجوء العقاد إلى المقابلات ؛ إظهاراً لنفس قلقة ، حائرة ، يسيطر عليها الاضطراب ، ولا تكاد تستقر على حال واحد ، إضافة لكون هذه الظاهرة تعدُّ تعبيراً عن موقف خاص للعقاد ، تجاه كون مفعم بالتناقض ، وحياة مترعة بالتضارب .

3 ـ إن العقـاد ـ وحـده ـ رائد مدرسة الديوان ، ولا يمكن أن يكون لأحد سواه ريادة الاتجاه الديواني ؛ فقد بدأ دعوته التجديدية مبكراً على صفحات جريدة الدستور سنة (1907م) ، وظل يدافع عن مبادئها حتى النهاية ، بعدما انفصل شكري في أول الأمر ، ثمَّ تبعه المازني فيما بعد .

4 ـ لقـد تناثرت آراء العقاد النقدية في كل كتبـه ذات الطابع الأدبي والنقدي ، وقد تعددت هذه الآراء وتنوعت ، إلا أن أهم هذه المبادئ النقدية اثنان ، هما :

**الأول ـ شعر الشخصية :**

وهو أحد نتائج مفهوم الصدق عند العقاد ، وقد أراد به أن يكون شعر الشاعر صورة صادقة لحياته ، ومن ثمَّ يؤكد على أن الشاعر الذي لا يُعرف من شعره ، لا يستحق أن يكون شاعراً .

**الثاني ـ الوحدة العضوية :**

وقد أراد به أن تكون القصيدة بنية حيَّة ، وليست قطعاً متناثرة ، يجمعها إطار واحد ؛ لأنه ليس من الشعر الرفيع شعر تُغيِّر أوضاع الأبيات فيه ، ولا تحسُّ منه ثمَّ تغييراً في قصد الشاعر ومعناه .

5 ـ إن العقاد في تطبيقه لهذين المبدأين قد تحامل كثيراً على أحمد شوقي ، كما أنه وقع في التناقض في تطبيقه للمبدأ الأول ؛ حيثُ نفى شخصية شوقي عن شعره عامة ، ثمَّ عاد وأثبتها له في مواضع أخرى من شعره الفكاهي ، الذي رأى أنه الجانب الوحيد الذي ظهر فيه شوقي بملامحه الشخصية .

6 ـ لم يستطع العقاد أن يحقق المواءمة التامة بين تنظيره النقدي ، وإبداعه الشعري ، فوقع فيما أخذه على شوقي ، وإن تحقق هذان المبدآن (شعر الشخصية / الوحدة العضوية) بقدر كبير في شعره ؛ فقد رأينا صفاته الذي ميزت شخصيه واضحة في شعره ، كما رأينا نوعاً من الوحدة ، التي تربط بين بنيات قصائده ، وتجعلها بناءً فنياً متماسكاً .

لكن ذلك في الحالين لم يكن على إطلاقه ، وبقى الاستثناء الذي جعلنا نرى أن العقاد لم يطبّق مبدأيه النقديين تطبيقاً كاملاً على ما أبدعه من شعر .

7 ـ إن الشعر ليس وثيقة تاريخية ، وبالتالي لا يمكن أن يتحقق مبدأ شعر الشخصية بتمام تنظير العقاد له ؛ لأن الشاعر لا ينقل الواقع كما هو في حقيقته ، بل كما يراه رؤية أدبية ، تحقق طموحه الإبداعي ، كما أن اعتبار الشاعر يُعَبِّر دائماً عن تجاربه الحياتية الخاصة ـ أمرٌ لا يؤيده واقع الإبداع الشعري لدى الكثرة الغالبة من الشعراء المبدعين .

8 ـ إن الوحدة العضوية التي نادى بها العقاد في إطارها الفلسفي الجمالي (النظري) ضرورة حتمية ، أو ـ كما يقول العقاد ـ مطلب حضاري ، لكنها في هذا الإطار لا تصلح للتطبيق على الشعر الموضوعي أو الملحمي ، ومن ثمَّ نرى أن الأقرب للصواب أن ننادي بوحدة نفسية شعورية ، تلم إطار القصيدة الكلي ،

وتجعل منها ـ بصورةٍ ما ـ وحدة فنية واحدة ، وبناءً متماسكاً ، نستشعر فنية بنائه ، ونلمس وحدة كيانه ، وذلك لأننا نهتم بالقصيدة الغنائية كوحدة شعورية نفسية ، ترتب بإحالة من عاطفة تسيطر عليها ، وتوجه الإبداع صوبها ، ومن ثمَّ فإعمال العقل ، وإعطاؤه الأولوية ، بدلاً من العاطفة (متمثلة في الحالة النفسية المسيطرة على العمل الأدبي) ، من شأنه أن يفقده كثيراً من خصوصيته ، وصدقه الفني ، وربما سار به نحو الصنعة والتكلف ، اللذين يضيع معهما معنى الشعر الحقيقي !!

لكننا في النهاية لا نرى أن ذلك بأي حال قد يقلل من مكانة العقاد ، التي احتلها بإبداعٍ وكدٍّ ومثابرةٍ ، وبالتالي فنحن على يقين تام بأنه سيبقى دائماً علامة مضيئة ، وقيمة فكرية وأدبية ، لها حضورها وتفردها على صفحات تاريخنا الأدبي والنقدي في العصر الحديث .

رحم الله العقاد (عملاق الأدب العربي) ؛ فقد كان علماً لجيله ، وسيبقى علماً لأجيال ، تقدر قيمة الكلمة ، وتعلي من شأن الإبداع الحر الرصين .